عرس الوفاء

ألقيت هذه القصيدة في مدينة العيون المغربية في حفل تكريم الشيخ الشاعر عبد العزيز البابطين في ١٩٩٧/٤/٣، كما ألقيت في جامعة فاس.

مـــائجَ الطِّيـــب بأجفـــانِ المنـــى ... صُـــبَّ أطيـــابَك هـــاهم أهلُنـــا

صُبَّ مـا شئتَ، ومـا شـاءَ الهـوى ... روحُ مـا في الكـونِ مـن حسْـنٍ هنـا

مـــا تـــرى المغـــربَ وفّـــت نذرهـــا ... وحنـــتْ تحضُـــنُ روّادَ السَّـــنا!

يالـــه عـــرسَ وفـــاءٍ لـــو رأت ... حسـنهُ الحُـورُ لَوافـت عرسَـنا

❖❖❖

قلـبُ يـا قلـبُ هنـا مـن أبدعـوا ... وبهـــم زيّـــنَ ربـــي كونَنـــا

فتغـــنَّ اليـــوم بالشـــعر الـــذي ... طالمـــا حنَّـــت إليـــه روحُنـــا

أمُنـــا الضـــادُ دعتنـــا، وعلـــى ... حبّهـــا الحـــبُّ تلاقـــى شـــملُنا

في ديـــار أحســـنت بنيانَهـــا ... ومَضـت تبنـي، وتعلـي الأحسـنا

كـــلُّ شـــبر مـــن ثراهـــا جنَّـــةٌ ... بـــورك البـــاني، وطـــابت مبتنـــى

❖❖❖

أيهـــا الأحبـــابُ في مغربنـــا ... شـــطرُكم نحـــنُ، وأنتـــم شـــطرُنا

مغـــربٌ قـــالوا، وقـــالوا مشـــرقٌ ... وتســـامى فـــوقَ هـــذا حبُّنـــا

مـــا شـــكت فيحـــاؤكم يومـــاً أذىً ... وَدَعَـــتْ إلاّ ولبَّـــتْ فاسُـــنا

أوَتنسى جُندَكمْ يومَ الوغى ... كيف جاؤونا، وكانوا درعَنا!!
دمُهم سالَ ليحمي أرضَنا ... ودماً سالَ عليهم دمعُنا
لو مَضينا في جهادٍ إثرهُم ... لرأيتَ الكونَ يخشى بأسَنا

❖❖❖

أمتي عفوكِ إني شاعرٌ ... هدَّه الهمُّ لِما حلَّ بنا
كلما شيَّعَ قومي فتنةً ... صنع الظلمُ لقومي فتنا
مِحَنٌ يبدعها الظلمُ، وما ... أبدع الظالمُ إلاّ المحنا
لم تكدْ تسلمُ من طغيانه ... قمحةٌ نسكِتُ فيها جوعَنا
لا، ولا قاصرِ ودانٍ سالمٌ ... لا، ولن يَسلم مستقبلُنا
عجباً يقوى، ونزداد أسىً ... وهو أوهى لو علت صيحتُنا
والذُلُّ الذُلُّ من غَفْلَتِنا ... يوم سُقنا للأعادي وُدَّنا
نحنُ أرخصنا لهم عزَّتنا ... وبأيدينا لبسنا قيدَنا
وزعمناه سلاماً عادلاً ... نكتةَ الدَّهر سيبقى زعمُنا
أيُّ سلمٍ من عدوٍّ جاءنا ... من أقاصي الأرضِ يبغي وأدَنا!!
عجباً يأكلُ قردٌ جبنَنا ... ثم نرضى حكمَه في خبزنا
وإلى ما شاءَ نسعى رُكَّعاً ... وعلى أعتابه سجدتُنا

أنهـــراً يُجـــري دمَ الأهـــلِ ولا ... شـــعرةٌ تهـــتزُّ في لحيتنـــا

وإذا مـــاتت لديـــه نعجـــةٌ ... أنهـــراً يَجـــري عليهـــا دمعُنـــا

ضـــاعَ كـــل الأمـــنِ منّـــا حينمـــا ... مجلـــس الأمـــن تولّـــى أمننـــا

فـــإذا المقتـــولُ يُدعـــى قـــاتلاً ... وإذا الظـــالمُ يدعـــى مُحســـنا

وإذا الكـــون جميعـــاً ضدنـــا ... إن طلبنـــا منـــه أدنـــى حقنُـــا

هـــل تـــرى بعـــد الـــذي صرْنـــا لـــه ... ذلّـــةٌ في الدهـــر ..واضَيْعَتنـــا!

❖❖❖

ربِّ هـــمُّ القـــوم يفـــري مهجتـــي ... ويُرينـــي خُلَّبـــا أشـــهى المنـــى

قســماً لـــم يشـــكُ يومـــاً مؤمـــنٌ ... محنـــةً إلاّ وزادتنـــي عَنـــا

هـــمُّ قومـــي كيـــف لا أحملـــه ... إن تنكَّـــرتُ فهـــل أبقـــى أنـــا!

❖❖❖

أمتـــي عفـــوكِ هـــل مـــن ســـاعة ... نلتقـــي فيهـــا، وننســـى خُلفنـــا!

آهِ مـــا أروعَ يومـــاً جاءنـــا ... فيـــه أهلونـــا، وشـــدُّوا أزرنـــا!

أمـــةُ العـــرْبِ تنـــادت، والتقـــت ... في ثـــرى الجـــوْلانِ تفـــدي أرضنـــا

لـــم يفـــرّقْ بيننـــا بعـــدٌ، ولا ... فـــرَّق الشـــيطانُ فيمـــا بيننـــا

ورأى العـــالَمُ أنّـــا أمـــةٌ ... تصنـــعُ القيـــدَ ســـيوفاً، وقنـــا

عجباً لا ينقضي من أمرنا ... كيف لا يبقى جميعاً شملُنا !
فطرةٌ وحدتُنا لكنما ... حبُّنا الكرسيُّ قد مزَّقنا

❖❖❖

أمتي عفوكِ من عَتبي فما ... كان إلاّ مهجةً تذوي ضنى
أين منا اليومَ ذاكَ الملتقى ... وعدوُّ الله يمحو أهلَنا !!
ويُذلُّ القدسَ، والهفي لِما ... عانت القدسُ على أعيننا !!
أوما حَرَّق أقصانا ولا ... ساكناً قد حركت أمّتُنا !!
أينما شاءَ رمانا، ومتى ... وكما يهوى ويبقى الآمنا
ألفُ قانا ما روتْ غلَّته ... لا ولا قد أيقظت نخوتنا
وقصارى ردُّنا أغنيةٌ ... أوْ بيانٌ غام فيه شجبُنا
كلَّ يوم فتكةٌ منه بنا ... وانتصاراتٌ على فرقتنا
لم يكن يوماً قوياً إنما ... زاده بأساً علينا ذُلُّنا
آه لوعدنا إلى توحيدنا ... وتناصرنا لولّى مُذعِنا
ساعةً، لو ساعةً ننسى الأنا ... والسّياساتِ التي تقتلُنا
ما الذي أبقت لنا فُرقتنا ... للغدِ المرجوِّ، ما أبقت لنا !!
إنْ رضينا بالذي صرنا له ... أتُرى أجيالُنا ترضى بنا !

لـمْ أعـدْ أخشـى عـدواً مثلمـا بـتُّ أخشـى اللَّعـنَ مـن أجيالنـا

❖❖❖

أيهـا المغـرب يـا معبرَنـا لانتشـار النـور ...يـا موئلَنـا
روحُـك الـروحُ التـي هبَّـتْ بنـا فانطلقنـا وحرقنـا السُّـفنا
وعمرنـا الأرض بـالعدل الـذي نـالَ منـه مـا تمنـى خصمُنـا
كـلُّ علـم صـار قومـي أهلَـه لـم يـدعْ في الأرض جهـلاً علمُنـا
أنـتَ لـو لـم تبعـثِ الـروحَ لَمـا حضّـر الغـربَ زمانـاً فتحنـا
كنـتَ للإسـلام سـيفاً وحمـى وسـتبقى السـيفَ يـا مغربنـا

❖❖❖

قدسُنا يـا قـدسُ يـا مهـدَ الهـدى أبـداً لا لسـت إلاّ قدسَـنا
أنـتِ مهـد النـور،مسـرى المصطفـى ولكـم دونـك يحلـو موتُنـا!
لا يُـرِعْ قلبَـكَ مـا نحـن بـه رفّـةَ الهدْبـين آتٍ زحفُنـا
قد يطول النوم، قد يطغى الأسى غـير أن العـزَّ في فطرتنـا
مـا سـوادُ الغيـم إلا مطـرٌ يُبـدعُ الجـدْبُ جمـالاً وجنـى
والدُجـى مـا بعـده إلا الضحـى والضحـى مـا كـان إلا نهجُنـا
شـقي العـالم بـالظلم ولـن يُذهِـبَ الظلمـةَ إلا فجرُنـا

❖❖❖

مـــائجَ النـــورِ انهمـــرْ في أمـــةٍ ... أغمضـــتْ عمـــا تعـــاني الأعينـــا

ربَّمـــا تذكـــر يومـــاً أنهـــا ... لـــم تكـــن إلا لتهـــدي السُّـــننا

كـــم عـــدوٍّ جـــاءَ يرجـــو حتفَهـــا ... ومضـــى عنهـــا، وحيّـــا، وانحنـــى!

أوليســـتْ أمـــةَ الهـــادي الـــذي ... قـــابَ قوســـيْن مـــن اللهِ دنـــا!!

وتلقّـــى الوحـــيَ بالضـــاد التـــي ... خـــصَّ فيهـــا ذاتـــه، واختصنـــا

عربيـــاً شـــاءه اللهُ ومـــا ... شـــاءه إلاّ لكـــي يعصِمَنـــا

كلمـــا ضلـــت بقومـــي ســـبلٌ ... آيـــةٌ منـــه أعـــادت رشـــدَنا

أنـــتَ إن لـــم تعشـــق الضـــاد ومـــن ... أخلصـــوا للضـــادِ لســـتَ المؤمنـــا

❖❖❖

أيهـــا الشـــعر تمـــردْ وانطلـــقْ ... وقـــل الحـــقَّ الـــذي يُلغـــي الأنـــا

مـــا أرى إلاّكَ يـــا شـــعرُ لهـــا ... فلْيكـــنْ قولُـــكَ فصـــلاً بيّنـــا

لـــك يصغـــي مســـمعُ الدهـــر الـــذي ... لـــم يجـــدْ مثـــلَ غنـــى الشـــعر غِنـــى

لا رعـــاني اللهُ إن كنـــتُ الـــذي ... غـــشَّ فيمـــا قالـــه، أو أبطنـــا

تنقضـــي الدنيـــا، وتبقـــى قولـــةٌ ... بهداهـــا تُبتنـــى ألـــفُ دُنـــا

إنـــه الشـــعر، وهـــل بعـــد الهـــدى ... غيرُ صـــدقِ الشـــعر يهـــدي ركبَنـــا!

❖❖❖

يـــا أخـــا الضـــاد، وأوْفانـــا لهـــا ... دمـــتَ للضـــادِ النصـــيرَ الفطِنـــا

شـــاءك اللهُ لهـــا في زمـــنٍ ... قـــد أطـــال القـــوم فيـــه الوســـنا

زمـــنٌ أعطيتَـــه حتـــى اغتنـــى ... وتغنيـــتَ فـــأصغى للغِنـــا
مبدعـــاً 'بـــوح البـــوادي' نغمـــاً ... ورؤىً عذريـــــةً تســـــحرُنا
يـــا 'نصـــير الضـــادِ' ترجـــو عزّهـــا ... وتـــــرى في عزِّهـــــا عزَّتنـــــا
حُبُّـــك الحـــبُّ الـــذي جـــمّعنا ... ســـوف يبقـــى طهـــرُه يجمعنـــا
مـــا لقـــاءُ اليـــوم إلا صـــورةٌ ... عـــن بنـــي قومـــي رســـمناها هنـــا
كـــلُّ قلـــبٍ مـــن بنـــي الضـــاد أرى ... أنـــه خصَّـــكَ منـــه ســـكنا
يـــا «نصـــيرَ الضـــادِ» يبقـــى حســـبُنا ... أن هـــذا الحـــبَّ قـــد وحّدنـــا

❖❖❖

يـــا بـــلاداً أحســـنت بنيانهـــا ... ومضـــت تبنـــي وتعلـــي الأحســـنا
حملتّنـــي أختُـــك الشـــامُ شـــذى ... غُوطتيهـــا ... حمّلتنـــي السوســـنا
وحبـــاني قاســـيونٌ شـــمماً ... يقحـــمُ الهـــول، ويمضـــي مؤمنـــا
وجـــرى في أشـــطري مـــن بـــردى ... نغـــمٌ يـــاليتَ يلقـــى أُذُنـــا!
صوتَـــه الـــدَّاوي ســـأبقى، وليمـــتْ ... كـــلُّ صـــوتٍ لا يـــرى النصـــر لنـــا
مـــا نبـــا في الشـــام ســـيفٌ لا، ولا ... عرفـــت آســـادُها يومـــاً ونـــى
عهدُنـــا العهـــدُ الـــذي نحيـــا لـــه ... لـــم تغـــيّرْ قـــوَّةٌ مـــن عهدنـــا
إنْ نحـــاربْ فـــالوغى تعرفنـــا ... أوْ نســـالمْ فعزيـــزٌ سِـــلمُنا

❖❖❖

أيهـــا الأحبـــاب في مغربنـــا ... حبُّنـــا كـــان ويبقـــى الوطنـــا
طـــاريءٌ كـــلُّ الـــذي فرَّقنـــا ... وســـتحيا أبـــداً وحدتنـــا